

البحث الأخلاقي

(٧)

روح الصلاة

لسماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى

السيّد الحسني

(دام ظلّه الوارف)

روح الصلاة

الفصل الأول – المعاني الباطنة للصلاة

الأول – الإخلاص

الثاني – حضور القلب

الثالث – خشوع الصلاة

الرابع – التفهم

الخامس – التعظيم

السادس – الهيبة والخوف

السابع - الرجاء

الثامن - الحياء

الفصل الثاني – الصبر والإصطبار

أقسام الصبر

الصبر على الصلاة

مجاهدة النفس وقبول الصلاة

الوصول إلى درجة المتقين الصديقين

البحث الأخلاقي روح الصلاة

الفصل الأول

المعاني الباطنة

- ١ - الإخلاص
- ٢ - حضور القلب
- ٣ - خشوع الصلاة
- ٤ - التفهُمُ
- ٥ - التعظيم
- ٦ - الهيبة والخوف
- ٧ - الرجاء
- ٨ - الحياء

المعاني الباطنة للصلاة

عرفنا مما سبق أن للصلاة حيثيتين: الإجزاء والقبول، وقلنا أن الإتيان بالصلاة فارغة الروح والمعنى خالية الآثار والمعطيات، يمكن أن تكون مجزية ومسقطه للعقاب ولكنها لا تكون مقبولة ليرتب عليها التشريف والتكريم الإلهي بالفيض والنور القدسي، الذي يأخذ بالمصلي نحو العرش الملكوتي في خط سير الترقى والتكامل.

فالغرض الرئيس من تشريع الصلاة والعبادة، ليس للإجزاء وإسقاط العقاب، وإنما لجعل العبد على استعداد للترقى والتكامل، فينعم الله تعالى عليه بالتسديد والتوفيق للسير في ذلك الصراط المتصاعد نحو الحضرة الإلهية المقدسة.

وقد عرفنا أن القبول لا يتحقق إلا إذا توفرت شروط وترتبت آثار على الصلاة، ويرجع الجميع بعد المعرفة إلى محورين من العبادة والأخلاق، ويصب الجميع في صيانة وتكامل الجانب الشخصي والجانب الإجتماعي ويشير لهذا:

١ - عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {الصَّلَاةُ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ وَفِيهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَهِيَ مِنْهَاجُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلِلْمُصَلِّي، وَحُبُّ الْمَلَائِكَةِ، وَهُدَى وَإِيمَانٌ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَبِرْكَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَرَاحَةٌ لِلْبَدَنِ، وَكَرَاهَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْكَافِرِ، وَإِجَابَةٌ لِلدُّعَاءِ، وَقَبُولٌ لِلْأَعْمَالِ،

وَزَادَ الْمُؤْمِنِ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ، وَشَفِيعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَأُنْسَ فِي قَبْرِهِ، وَفِرَاشٍ تَحْتَ جَنْبِهِ، وَجَوَابٍ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَتَكُونُ صَلَاةُ الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَحْشَرِ تَاجًا عَلَى رَأْسِهِ، وَثَوْرًا عَلَى وَجْهِهِ، وَلِبَاسًا عَلَى بَدَنِهِ، وَسِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَحُجَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ (جَلَّ جَلَالُهُ)، وَنَجَاةً لِبَدَنِهِ مِنَ النَّارِ، وَجَوَازًا عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِفْتَاحًا لِلْجَنَّةِ، وَمُهْوَرًا لِلْحُورِ الْعِينِ، وَتَمَنَّا لِلْجَنَّةِ، بِالصَّلَاةِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا، لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَسْبِيحٌ، وَتَهْلِيلٌ، وَتَحْمِيدٌ، وَتَكْبِيرٌ، وَتَمْجِيدٌ، وَتَقْدِيسٌ، وَدَعْوَةٌ}.

٢- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {من ضيَّع الصلاة، فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيَّع}.

٣- عن الإمام الصادق (عليه السلام): {إعلم أن الصلاة حجة (عصمة وملجأ) الله في الأرض، فمن أحب أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته، فليُنظر فإن كانت صلاته حجزته عن الفواحش والمنكر، فإنما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز}.

وقد عرفنا أيضاً ان أفعال الصلاة وتلاواتها يراد بها الإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والإقرار بالإعتراف بالعبودية لله تعالى وفيها التعظيم والتبجيل والخضوع والخشوع لله تعالى وفيها الدعاء والمناجاة والتكلم في ظل الحضرة الإلهية المقدسة وغيرها من المعاني،

ولا يخفى ان تلك المعاني لا تصدق ولا تتحقق، إلا بتوفير المعاني الباطنية للصلاة والتي تمثل روح الصلاة، إضافة إلى ذلك فإن الشارع المقدس قد أرشد إلى روح الصلاة ومعانيها والتي بدونها لا تتم الصلاة ولا تقبل، ومن تلك المعاني الباطنة، الإخلاص وحضور القلب والخشوع وعدم الغفلة والتفهم والتعظيم والهيبية والخوف والرجاء والحياء، وقبل الدخول في تلك المعاني الباطنية أذكر لك بعض الموارد الشرعية التي تشير إلى تلك المعاني:

- ١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.
- ٢ - عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك}.
- ٣ - عن الإمام الرضا (عليه السلام): {لا صلاة إلا بإسباغ الوضوء وإحضار النية، وخلوص اليقين، وإفراغ القلب، وترك الإشتغال، وهو قوله تعالى ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ))}.
- ٤ - سئل الإمام الرضا (عليه السلام) عن صلاة الجماعة فقال (عليه السلام): {لأن لا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوداً}.
- ٥ - عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه}.

٦- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {صلاة ركعتين بتدبير خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ}.

٧- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا يُقْبَلُ نَصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمْسُهَا إِلَى الْعَشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثَّوْبُ الْخَلْقُ فَيَضْرِبُ بِهَا وَجْهَ صَاحِبِهَا، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ}.

٨- عن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): (بنيت الصلاة على أربعة أسهم:

١- سهم منها الوضوء.

٢- وسهم منها الركوع.

٣- وسهم منها السجود.

٤- وسهم منها الخشوع.

فقيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما الخشوع؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): {التَّوَاضُّعُ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنْ يُقْبَلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ كُلِّهِ عَلَى رَبِّهِ، فَإِذَا هُوَ أَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَأَتَمَّ سَهَامَهَا صَعِدَتْ إِلَى السَّمَاءِ، لَهَا نُورٌ يَتَلَأَلُّ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهَا، وَتَقُولُ (الصلاة) حَافِظَتْ عَلَيَّ حَفِظَكَ اللَّهُ ...

وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ سَهَامَهَا، صَعِدَتْ وَهَهَا ظُلْمَةٌ، وَعَلِقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتَقُولُ (الصلاة) ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ، وَ يَضْرِبُ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ}.

٩- رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصلياً يعبت بلحيته فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): {أما هذا لو خشع قلبه خشعت جوارحه}.

١٠- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {أوصيكم بالصلاة التي هي عمود الدين، وقوام الإسلام، فلا تغفلوا عنها}.

١١- عن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): {إذا قام العبد إلى الصلاة وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أمه}.

١٢- عن الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): {من لم يتم وضوءه وركوعه وسجوده وخشوعه فصلاته خداج (يعني ناقصة غير تامة)}.

١٣- عن الإمام الباقر (عليه السلام): {أَيُّمَا مَوْمِنٍ حَافِظٍ عَلَى صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ فَصَلَاهَا لَوْ قَتَلَهَا فَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْغَافِلِينَ}.

١٤- سُئِلَ الْإِمَامَ الرِّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): {عَنِ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَأَوْقَاتِهَا}،

قال (عليه السلام): {إِذَا فَعَلُوا (صَلُّوا) ذَلِكَ لَمْ يَنْسُوهُ وَلَمْ يَغْفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ تَقْسَ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ تَقُلْ رَغْبَتُهُمْ}.

١٥- عن النبي (صلى الله عليه وآله): { لا صلاة لمن لا يتم ركوعها، وسجودها }.

١٦- عن الإمام الصادق (عليه السلام): { اعطوا كل سورة حظها من الركوع والسجود إذا كنتم في الصلاة }.

١٧- عن الإمام الباقر (عليه السلام): { كان الإمام السجاد (عليه السلام)، إذا قام للصلاة غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل }.

١٨- عن الإمام الباقر (عليه السلام): { كان الإمام السجاد (عليه السلام) يصلي صلاة مودع يرى انه لا يصلي بعدها أبداً }.

١٩- عن الإمام الصادق (عليه السلام): { لا تجمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة، فإذا صليت فأقبل بقلبك على الله عز وجل، فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عز وجل في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده من مودتهم إياه بالجنة }.

٢٠- عن الإمام الصادق (عليه السلام): { أوحى الله إلى موسى يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجالاً،

وعقر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل}.

٢١- عن الإمام الصادق (عليه السلام): {أوحى الله إلى عيسى يا عيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث، يا عيسى، اذل لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات ... وأسمعي منك صوتاً حزيناً}.

٢٢- عن الإمام الصادق (عليه السلام): {لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة، إلا زينته الله بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول، والسجود ثاني، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني،

وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب،

فأركع ركوع خاشع لله بقلبه، متذلل وجل دخل تحت سلطانه، خافض له جوارحه، خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين ...
وَاسْتَوْفِ رُكُوعَكَ بِاسْتِوَاءِ ظَهْرِكَ، وَانْحَطَّ عَنْ هَمَّتِكَ فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ إِلَّا بِعَوْنِهِ،

وَفَرِّ بِالْقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَخَدَائِعِهِ وَمَكَايِدِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ عِبَادَهُ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ لَهُ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى أَصُولِ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ بِقَدْرِ إِطْلَاعِ عَظَمَتِهِ عَلَى سَرَائِرِهِمْ}.

وتفصيل الكلام في أمور: -

الأول:

الإخلاص

حقيقة الإخلاص سر من أسرار الله (سبحانه وتعالى) لا يعرفه إلا من أحب الله فأنعم عليه وقذف النور في قلبه واستودعه الإخلاص، كما ورد في الحديث القدسي: ((الإخلاص سر من أسراري أستودعه قلب من أحببت من عبادي)).

وإذا تحدثنا عن معاني الإخلاص فإننا نتحدث عن بعض المعاني الظاهرية التي يدركها عقلنا القاصر ويتذوقها قلبنا المظلم، وبالتوكل على الله والإستعانة به سبحانه وتعالى أقول:

مقومات الشخصية الإسلامية المؤمنة

إن الشارع المقدس أصدر العديد من الأوامر والإرشادات للوصول بالإنسان إلى الرقي والتكامل، فيجب على الإنسان إمتثال ذلك،

البحث الأخلاقي روح الصلاة

والإلتزام به وتجسيده في شخصيته ويحصل هذا التجسد بعد تقييم النفس ومراقبتها ومحاسبتها وفق المقياس الشرعي والأخلاقي، والوصول بها إلى التكامل بعد تمتعها العلم، والتفكير، والتوكل، والصبر، والإيمان بالغيب، وغيرها.

والإيمان يترتب عليه عدة آثار، منها، ذكر الله، ووجل القلب، وخشيته، والإخلاص في العبودية، وتفصيل الكلام في مقام آخر إن شاء الله تعالى.

الإخلاص في مقومات الشخصية الإسلامية:

بعد أن عرفنا الإيمان بالغيب هو أحد مقومات الشخصية المسلمة وانه مما يترتب على ذلك ومن آثاره هو الإخلاص، وهذا معناه أن الإخلاص في العبادة من مقومات الشخصية الإسلامية.

الإخلاص في العبادة

والكلام في العبادة أولاً ثم في الإخلاص

الأول:

العبادة:

العبادة في اللغة، هي، غاية التذلل والخضوع والانقياد، ولذلك لا يستحقها إلا المنعم الأعظم الحقيقي جلت قدرته، ولكن لوجود إبليس وهوى النفس والدنيا يقال أن العبادة تشمل كل سلوك فبعضهم يعبد شخصاً، وبعضهم يعبد هواه، والثالث يعبد الله الحق الواحد الأحد، وقد صدر عن الشارع المقدس ما يشير إلى هذا:

١ - قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ

﴿١﴾

(١) سورة الجاثية / آية ٢٣ .

٢ - قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^١.

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^٢.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): {من أطاع رجلاً في معصية الله فقد عبده}.

الثاني:

الإخلاص

بما أن العبودية تمثل علاقة بين العبد والمعبود، فالعبودية بين الإنسان والحق تعالى يجب أن تكون بالإخلاص لله وحده لا شريك له، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^٣.

فالإخلاص هو الحجر الأساس في كيان العقائد والشرائع، وهو الشرط الواقعي في صحة وتركية العمل، وتطهيره، وتنقيته، وقبوله عند الله تعالى فيكون جزاء العامل، رحمة الله ونعمته، والخلود في جناته، فيكون مصداقاً

(١) سورة التوبة / آية ٣١.

(٢) سورة التوبة / آية ٣١.

(٣) سورة البينة / آية ٥.

البحث الأخلاقي روح الصلاة

لقول أمير المؤمنين (عليه السلام): {طوبى لمن أخلص لله العبادة،
والدعاء ولم يشغل قلبه بما تراه عينه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم
يحزن صدره بما أُعطي غيره}.

معنى الإخلاص

قلنا سابقاً ان حقيقة الإخلاص من أسرار الله تعالى، أما الإخلاص في
اللغة فهو التمحيص والتصفية والتجديد والتخليص، والإخلاص في
الطاعة.

والإخلاص هو ترك الرياء وتجريد النفس عن طلب المنزلة في قلوب الناس
قد استعمل الشارع المقدس بعض المعاني للدلالة على الإخلاص بالمعنى
الظاهري بالمطابقة أو الإلتزام، منها:

١ - الإخلاص ضد الرياء:

فهو ترك الرياء

ويشهد لهذا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن جده
أمير المؤمنين (عليه السلام): {الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم

كله جهل إلا ما عُمِلَ به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يُختم له.}

٢ - الإخلاص هو التوحيد:

لأن الرياء شرك، ولأن الإخلاص ضد الرياء، ولأن الشرك ضد التوحيد، فينتج أن الإخلاص توحيد ويشير إلى المقدمة الأولى (أن الرياء شرك): قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^١.

وما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): {إني تخوفت على أمتي الشرك، أما إنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً، ولكنهم يراؤون بأعمالهم}.

٣ - الإخلاص هو موافقة ومطابقة السر مع العلن

^١ (سورة الكهف / آية ١١٠ .

وهنا يبتني على الإخلاص ضد الرياء وهو عدم مطابقة السر للعلن، ويشير لهذا ما ورد عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله): {سيأتي زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يُستجاب لهم}.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {ثلاث علامات للمرائي

- ١ - ينشط إذا رأى الناس.
- ٢ - ويكسل إذا كان وحده .
- ٣ - ويجب ان يُحمد في كل أموره}.

٤ - الإخلاص هو النية والإصابة وخشية الله:

ويشير إلى هذا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله (عز وجل) ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^٢ قال (عليه السلام): {ليس يعني أكثركم عملاً، لكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة.

^٢ (سورة هود/ آية ٧).

ثم قال (عليه السلام): الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحداً إلا الله (عز وجل)، والنية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ...﴾^٣ يعني على نيته.

ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): {ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً، إلا زهده الله تعالى في الدنيا، وبصره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه}.

وما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): {من أخلص أربعين يوماً فجزَّ الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه}.

٥ - الإخلاص هو قبول الأعمال:

وذلك لأن الإخلاص ضد الرياء، والأخير فساد العمل وعدم قبوله يشير إلى هذا، وما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {أن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته، يقول الله (عز وجل) اجعلوها في سجين أنه ليس إياي أراد به}.

^٣ سورة الإسراء / آية ٨٤.

البحث الأخلاقي روح الصلاة

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): { لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من رياء }.

٦ - الإخلاص هو التحرر من إغواء الشيطان وأضاليه:

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾^٤.

٧ - الإخلاص حب الله:

فالحب هو التجرد والإخلاء عن كل شاغل سوى الله تعالى، ويشير لهذا ما ورد في الحديث القدسي:

((يا داود إنك تزعم انك تحبني، فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا عن قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب)).

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفات: { أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا إلى غيرك }.

^(٤) سورة ص / آية ٨٢ - ٨٣.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): {حب الله إذا أضاء سر عبد أخلاه
عن كل شاغل، وكل ذكر سوى الله،
والحب أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً وأزكاهم
عمالاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدتهم نفساً، تتباهى الملائكة عند مناجاته،
وتفتخر برويته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده ويعطيهم إذا
سألوا بحقه ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله عند الله
ومنزله لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه}.

٨- الإخلاص أفضل العبادات:

ويشهد لهذا:

- قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^٥.
وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^٦.
وما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام): {أفضل العبادة الإخلاص}.

٩ - الإخلاص هو تحقير النفس:

^٥ سورة الزمر / آية ٢ - ٣.

^٦ سورة البينة / آية ٥.

ويشير إلى هذا ما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): {يا أبا ذر، لا يفقه الرجل كل الفقه، حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباغر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها}.

درجات الإخلاص

بما أن الإخلاص عند الإنسان من الصفات النفسية، فهو قابل للزيادة والنقصان ، وهذا يعتمد على محورين:

المحور الأول:

عمق الإيمان:

من الواضح ان مستوى الإيمان وعمقه يختلف من شخص إلى آخر ، ويؤثر هذا في مقدار تفاعل الإنسان مع الحقائق الربانية، ويؤثر على مدى إدراكه أن الله ربه وخالقه وهو الذي يستحق العبادة، وكلما غار هذا الإدراك في أعماق النفس، فإنه يحرك المشاعر والأحاسيس ويدفع إلى الطاعة الحقيقية والإخلاص الخالي من الشوائب.

المحور الثاني

تربية النفس على الإخلاص:

بعد أن يُدرك الإنسان المؤمن معنى الإخلاص وأثره في بناء الشخصية الإسلامية المؤمنة، عليه أن يُربي نفسه على الإخلاص، وذلك بأن يلتفت إلى الإخلاص دائماً فيجعل كل أقواله وأفعاله صغيرها وكبيرها وكل حركاته وسكناته متصلة بالإخلاص ونقية من شوائب النية. وتربية النفس على الإخلاص تشمل عدة مستويات منها:

المستوى الأول:

النية عند أداء الطاعة والعبادة:

الثابت شرعاً أن النية الصحيحة والمقبولة على درجات مختلفة تنحصر بين درجتين:

الدرجة الدنيا: الإخلاص المخلوط:

ففي هذه الدرجة تختلط النية ببعض الشوائب التي فيها غاية أخرى غير الله تعالى، وفي هذه الحالة يكون العمل صحيحاً بشرط خلو النية من الرياء.

الدرجة العليا: الإخلاص التام:

ففي هذه الحالة تتجرد النية عن الشوائب كلها، ووجود الشوائب وعدمها واختلاف مقدارها يعتمد على عدة عوامل منها:

- ١ - مستوى إيمان الشخص.
- ٢ - الحالة النفسية التي يعيشها أثناء العمل، فإن للنفس الإقبال والإدبار.
- ٣ - نوع العمل الذي يقوم به الشخص، فالعمل الذي يكون موافقاً للهوى تتعرض نفس المؤمن لإحتمال وجود الشائبة في إخلاصه بقيمة احتمالية أكبر.
- أما في العمل المخالف للهوى والذي يلقي مقاومة من نفس الإنسان فمثل هذا العمل يكون أكثر احتمالاً لتسجيل وتحقيق الإخلاص التام.
- ٤ - الإلتفات قبل العمل إلى معنى الإخلاص، والإهتمام يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى.
- ٥ - مواجهة النفس بعد العمل، وتقييمها ومحاسبتها بالنظر في مقدار الشوائب ، وخلوها من ذلك.

المستوى الثاني:

تعميم الإخلاص

البحث الأخلاقي روح الصلاة

عندما يكون هم الإنسان الأكبر هو إرضاء الله سبحانه وتعالى، فإنه سيجعل الصفة النفسية للإخلاص عامة، وتشمل حتى تفكير الإنسان وعواطفه.

ومن الواضح أن درجة إرضاء الله تعالى تختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، وتنحصر بين درجتين:

١ - الدرجة الدنيا:

وفيه لا يبغى المؤمن غير أن يتخلص من العقاب وان يسقط عنه الواجب ، وفي هذه الحالة تكون نية الطاعة والإخلاص على الواجبات وبعض المستحبات (مثلاً)، أما باقي أوقاته فتصبح فارغة من نية الطاعة لله.

٢ - الدرجة العليا:

وفيهما يصبح همّ العبد هو الله سبحانه وتعالى، ويصبح تفكيره خالصاً لله وتتصاعد هذه الحالة أكثر وأكثر حتى تبدأ أحاسيسه وحبه وكرهه وغضبه ورضاه في التحول من جانب الأهواء إلى جانب رضا الله سبحانه وتعالى وفي هذه الحالة تكون جميع أعماله لله، من الواجبات والمستحبات وحتى المباحات بل والحركات والسكنات، ويتصاعد الإخلاص عند المؤمن فلا يعيش إلا لله وهذا هو الإخلاص التام، وهو لا يحصل إلا ممن عانى

وجاهد وسعى في تربية نفسه وفي تنقية إخلاصه من الشوائب، وقد ورد في الحديث القدسي:

((الإخلاص سرٌّ من أسراري أستودعه قلب من أحببت من عبادي)).

الإخلاص في الصلاة

ومن المعاني المتحصلة مما سبق أن الإخلاص يرجع معناه إلى تجريد النية والقصد عن كل شيء سوى الله تعالى، وعليه فإشترط الإخلاص للصلاة يستلزم بطلانها أو عدم قبولها مع عدم الإخلاص، ويمكن القول أن الإخلاص يمثل روح الصلاة ومعناها لأن الصلاة كعمل لا قيمة لها دون النية، والقصد والنية لا قيمة لها دون الإخلاص بل ورد أن النية هي العمل بل أن النية أفضل من العمل، والمقصود بالنية هنا الصادقة الخالصة لله تعالى، فالإخلاص بالنية هو العمل بل أفضل من الصلاة لأن الإخلاص أفضل عبادة كما ورد عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام):

١ - أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فقال: إني صممتُ الدهر فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): { لا صممتَ ولا أفطرتَ }.

٢ - عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): {من رانا بعمله ساعة حَبِطَ عمله الذي كان قبله}.

٣ - عن النبي الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): {من صَلَّى صلاة يُرائي بها فقد أشرك}.

٤ - عن الإمام الصادق (عليه السلام): {يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلى فيقول: يا رب صليتُ إبتغاء وجهك، فيقال له: إنكَ صليت ليقال ما أحسن صلاة فلان، إذهبوا به إلى النار}.

٥ - عن الإمام الصادق (عليه السلام): في تفسير قوله تعالى ﴿

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾^٧

قال (عليه السلام): {ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة}.

٦ - عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): {.... النية أفضل من العمل، ألا وأنه النية هي العمل، ثم تلا (عليه السلام):

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^٨.

^٧ سورة هود / آية ٧.
^٨ سورة الإسراء / آية ٨٤.

٧ - عن الإمام الرضا (عليه السلام): { لا صلاة إلا بإسباغ الوضوء، وإحضار النية، وخلوص اليقين }.

فالواجب على كل إنسان قطع الأسباب الباعثة، لعدم الإخلاص والرياء ومن تلك الأسباب، حب المدح، والفرار من ألم الدم، والطمع بما في أيدي الناس، وعلينا تعويد أنفسنا على إخفاء العبادات ومنها الصلاة، وإغلاق الأبواب دون المعاصي والفواحش ورذائل الأخلاق، وينبغي أن يقنع الإنسان نفسه وقلبه ويطبعه بعلم الله، وينوره بنور الإيمان والطاعات ومكارم الأخلاق ويشرح صدره باليقين حتى لا يتغير قلبه بمشاهدة الخلق ولا يلتفت إليهم ولا لما في أيديهم فيتحقق الإخلاص في الصلاة وكما عرفنا أن الإخلاص هو الصلاة لأن النية الصادقة الخالصة هي العمل والعبادة بل إن الإخلاص هو الأفضل لأنه أفضل عبادة كما قال الإمام الجواد (عليه السلام): {أفضل العبادة الإخلاص}.

١ - عن النبي الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): {إذا قام العبد للصلاة وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، إنصرف كيوم ولدته أمه}.

٢ - عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {طوبى لمن أخلص لله العبادة، والدعاء، ولم

يشتغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره}.

٣ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً
.....

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول تعالى: ((رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ)) {.

٤ - عن الإمام الباقر (عليه السلام): {ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً إلا زهده الله تعالى في الدنيا وبصره داءها ودوائها واثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه}.

٥ - عن الإمام الصادق (عليه السلام): في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^٩
قال (عليه السلام): {ليس يعني أكثركم عملاً ، ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة،

^٩ (سورة هود / آية ٧ .

البحث الأخلاقي روح الصلاة

ثم قال (عليه السلام): {الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلا الله (عز وجل) والنية أفضل من العمل ألا وإن النية هي العمل،
ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (يعني على نيته) .

٦ - عن الإمام الرضا (عليه السلام): {لا صلاة إلا بإسباغ الوضوء وإحضار النية وخلوص اليقين وفراغ القلب وترك الإشتغال وهو قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ^{١٠} .

^{١٠} سورة الإنشراح / آية ٧ - ٨ .

الثاني:

حضور القلب

حضور القلب معنى يقابل الغفلة ويسمى بالإقبال وهو أن يفرغ القلب عن كل شيء سوى الله تعالى. ويُطلق على الخشوع أيضاً لأن الخشوع في الصلاة خشوعان:

أولاً: خشوع القلب:

هو أن يتفرغ للصلاة والإعراض عن كل ما سواها وبحيث لا يكون في قلبه غير الله تعالى.

ثانياً: خشوع الجوارح:

وهو أن يغض بصره ولا يلتفت ولا يتثائب ولا يتمطى ولا يفرقع أصابعه ولا يفعل أي شيء من المكروهات ولا يتحرك إلا من أجل الصلاة وأجزائها.

إن المعلومات التي تتقبلها النفس (وفق مصطلحات المنطق) تنقسم إلى قسمين:

١ - العلوم الحسولي:

وهو ما ليس حاضراً بذاته لدى النفس وإنما يحضر بصورة ذلك الشيء فعلماً بالأرض والجبال والبحار والسماء يعني إنطباع صور تلك الأشياء في أذهاننا.

٢ - العلوم الحصري:

وهو ما يحضر بذاته لدى النفس وليس له وجود مستقل منفصل عن فهمنا وإدراكنا، فعلماً بحب الصالحين وعلمنا ببعض المنافقين حاضر لدى النفس مباشرة بلا واسطة فنحن ندرك مباشرة الحب والبغض وليس الحب والبغض أمرين منفصلين مستقلين بل وجودهما بوجود الذهن والإدراك والشعور وكذلك الدوافع النفسانية التي تدفعنا نحو أعمالنا سواء كانت دوافع فاضلة وخيرة أم كانت دوافع خبيثة وشريرة، فالدوافع

النفسانية ليس معلومة لدى النفس بأخذ صورة عنها كوجودات مستقلة بل هي حاضرة مباشرة وبلا واسطة لعدم الوجود المستقل لها خارج الذهن والنفس.

والغريب ان الدوافع النفسية التي تدفع الإنسان نحو العمل رغم حضورها لدى النفس مباشرة وبلا واسطة فإننا نرى النفس تغفل عن ذلك وكأنها تحاول أن تلهي نفسها بغير الواقع رغم أن الواقع حاضر لديها كما يحصل عند كثير من الناس حيث يعمل ويتصور ويرى أن عمله لله وبدافع القرية لكن في الواقع أن رؤيته هذه ناتجة من الغفلة الحاصلة من تسولات النفس الأمّارة والهوى والشيطان لأنه حينما يمتحن ويختبر نفسه ويرى أن الحقيقة خلاف تلك الرؤية وان عمله لم يكن لله ليس بدافع القرية ولتقريب المراد أذكر لك بعض الأمثلة:

١ - حُكي عن بعض المصلين العابدين أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الأول لأني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت أن نظر الناس إليّ في الصف الأول كان يسرني وكان هو السبب في راحة قلبي من حيث لا أشعر.

٢ - بعض المصلين كان يصلي في المسجد دائماً وكانت صلواته بخشوع وكان يظن أن صلواته مقبولة لأنها صلاة الخاشعين، ولكن عندما تخلف عن الحضور للمسجد وصلى في البيت رأى أن ذلك الخشوع غير موجود

أثناء هذه الصلاة فأكتشف، أنَّ الدافع الحقيقي للخشوع الظاهري هو الرياء ولم يكن الخشوع لله تعالى وانه كان غافلاً عن هذا.

٣ - وفي غير الصلاة، نجد بعض الناس ممن يبادر إلى فعل الخيرات من مساعدة الناس المحتاجين ويرى أن عمله لله تعالى ولكن حينما يمر هذا الإنسان بالإختبار كعدم الحصول على المدح والثناء من المقابل على عمله نجد أنه سيقبل أو يقطع تلك المساعدات وهذا يكشف غفلته عن الواقع وان عمله لم يكن لله تعالى بل كان بدافع حب المدح من الآخرين.

٤ - وفي غير الصلاة، نجد الغفلة عن التقييم الصحيح فكم منا من يقيم نفسه ويرى أنه وصل إلى درجات من التكامل النفسي والأخلاقي بحيث أصبح ينتقد تصرفاته السابقة من قبل سنين عندما كان طفلاً ويشعر بالحقده على طفل آخر يأخذ منه شيئاً بسيطاً يلعب به أو عندما يجلس ذلك الطفل في حضن أمي أو أمك فإننا نحقد عليه وربما نضربه وبظن كل منا أننا ارتفعنا عن ذلك المستوى وسرنا نحو التكامل ولكن حقيقة الأمر أن أكثرنا قد غفل عن الواقع لأنه لا زال يشعر بالحقده والغيرة على شخص قدم عليه في المجلس أو حصل على علم أكثر، وأفضل منه، فهو يعيش في نفس المستوى النفسي الطفولي السيء الذي كان يعيشه سابقاً، أما عدم غيرته من الطفل في هذا الوقت لأنه لم يعد طفلاً يحتاج إلى تلك اللعب البسيطة الخاصة بالأطفال.

فالدوافع النفسية الحقيقية هي التي تحدد شخصية الإنسان، لأنها أما تمنع من الرقي والتكامل أو أن تدفع وتحفز الإنسان للسير في طريق التكامل الروحي والأخلاقي،

فالواجب على كل إنسان إمتحان نفسه دائماً ومحاسبتها ومراقبتها ومعرفة مدى التحسن والإرتقاء في المستوى العبادي والأخلاقي والفكري عما كان عليه سابقاً.

فإذا وجد أنه قد حصل على الرُقي والتصاعد في طريق التكامل الحقيقي فليشكر ربه دائماً لأنه تعالى الخالق والموفق والمنعم والمسدد في هذا الطريق القويم، وليعاهد الله بأنه سيبقى يثبت في هذا الخط التصاعدي نحو الكمال وسيصعد مستواه الإيماني ويُعمقه فيكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال والأوقات.

ومما يوصلنا إلى هذا المستوى الإيماني ترسيخ الحقيقة الربانية الكبرى في النفس وهي حقيقة (لا إله إلا الله) وأنه تعالى قد بدأ الخلق وخلق الإنسان وكونه في رحم أمه وغذاه ونمّاه، حتى خرج إلى الدنيا طفلاً لا يقدر على شيء فرزقه، وغذاه وربّاه وقدره حتى صار رجلاً ،

فالحياة والنطق والفكر والقدرة والعيش وغيرها كلها من نِعَم الله تعالى وفضله.

لقد طالبنا الإسلام بان نستحضر الله تعالى إستحضاراً حياً في ذاكرتنا منطبعاً في سلوكنا وقد أشار إلى هذه المنهجية والتربية الإسلامية في موارد عديدة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^{١١}.

٢ - عن الإمام السجاد (عليه السلام): {أَشَدُّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ ثَلَاثٌ: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُؤَاسَاةُكَ أَحَاكَ، وَذِكْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ (سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)، وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ ذَكَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ إِذَا هَجَمْتَ عَلَىٰ طَاعَةٍ أَوْ عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ}.

^{١١} (سورة آل عمران / آية ١٩١).

الثالث:

خشوع الصلاة

الخشوع في الصلاة هو التواضع والتذلل وهو روح الصلاة ومما يتوقف عليه كما لها لأن:

١ - ان الصلاة مناجاة لله تعالى ولا تكون هناك مناجاة والقلب لاهٍ منشغل فإذا كان قلب العبد محبوباً عن الذات المقدسة بحجاب الغفلة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لصقل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ودوامه.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن صلى صلاة وجهر فيها بالقراءة

.....

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): {ما بال أقوام يُتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يُتلى عليهم منه ولا يترك { (أي ولا يدرون ما يُترك)، هكذا

هلكت بنوا إسرائيل حضرت أبدانهم وغابت قلوبهم ولا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه).

٢ - ان الصلاة ثناء وحمد وشكر لله تعالى لأن من أجزاء الصلاة القراءة والذكر والدعاء، فإذا كان القلب محجوباً عن الله بحجاب الغفلة فلا يرى الله ولا يشاهده، فلا دعاء ولا ثناء ولا حمد فلا صلاة بل مجرد تحريك لسان بحكم العادة فعن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم):
{بالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة العليا، لأنَّ الصَّلَاةَ تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَكْبِيرٌ وَتَمْجِيدٌ وَتَقْدِيسٌ وَقَوْلٌ وَدَعْوَةٌ}.

٣ - الوقوف في الصلاة بأدب والركوع والسجود وغيرها من أفعال الصلاة وأجزائها يقصد بها التعظيم والتمجيد للمولى جلت عظمته، فمع عدم الخشوع للجوارح أو مع غفلت القلب عن الله تعالى، فلا وجود للتعظيم ولم يبقَ إلا مجرد حركات وسكنات مجردة، وقد أشار المولى لتلك المعاني كما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)
(من حبس نفسه في صلاة الفريضة فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها، ثم مجد الله عز وجل وعظمه وحمده حتى يدخل وقت صلاة أخرى لم يبلغ بينهما، كتب الله له كأجر الحاج المعتمر وكان من أهل عليين)

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ولا صلاة لمن لا يتم ركوعها وسجودها) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (اعطوا كل سورة حظها من الركوع والسجود إذا كنتم في الصلاة).

٤ - الصلاة وسيلة تربوية شرعية لتربية الشخصية من خلال استحضار الحقائق الربانية، بعد الإقرار بالعبودية واستحضار أن الله هو الخالق والمربي والمحيي والمميت والرازق والمنعم في الدنيا والآخرة ، وكذلك التربية من خلال إقرار المصلي على نفسه بالعبودية الصالحة للمولى المطلق (جل جلاله) والإقرار بعدم الخضوع والإنقياد لإبليس والنفس والهوى ولا لأي شيء من مغريات الدنيا، ومن الواضح ان الغفلة عن تلك المعاني وعدم استحضارها لا يحقق التربية الإسلامية الصالحة المرجوة من تشريع الصلاة إقامتها فالواجب علينا الحفاظ على الصلاة وقبولها وذلك بالحفاظ على روحها وشروط كمالها من خلال تحقيق الخشوع في الصلاة، وقد أشار الإسلام إلى الترغيب في صلاة الخاشعين والحث والتأكيد عليها ومدح حضور القلب والإقبال في الصلاة، وكذلك أشار إلى ذم الغفلة والتفكير في أمور الدنيا والوساوس الشيطانية، وبعبارة أخرى يُقال ان لا يحضر في القلب إلا ما يهتم به الإنسان، فإذا كان همك الدنيا وزينتها وما يرتبط بها، كان قلبك مشغولاً بها دائماً سواء في الصلاة أم في غيرها، بالتأكيد

فإن إبليس وأتباعه يزدادون همةً وسعيًا في غواية الإنسان أثناء عباداته وفي الصلاة مسألة واضحة جداً، ولعلاج ذلك نذكر بعض الأمور:-

الأول:- الإطلاع مع التفكير وأخذ العضة والعبرة مما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) في وصف الدنيا وانها دار إختبار وفناء وأن الآخرة هي دار القرار والدوام، والصلاة هي المنهاج والهدى والإيمان ونور المعرفة، وقبول الأعمال، وزاد للمؤمن من الدنيا إلى الآخرة فينبغي الإتيان بالصلاة التامة المقبولة فتكون نجاة للبدن من النار وجوازاً على الصراط ومفتاحاً للجنة.

١ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره).

٢ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، وأستكثروا منها و تقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً..... وإنها لتحت الذنوب حتّ الورق..... وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع، و لا قرّة عين من ولد، ولا مال، يقول الله سبحانه

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾

١٢ ﴿

الثاني: الاطلاع على ما ورد عن المولى والذي يشير إلى الترهيب،
وذم الغفلة في الصلاة والتفكير في أمور الدنيا

١ - قوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾
١٣ .

٢ - عن النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) (لا ينظر الله إلى صلاة لا
يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه).

٣ - روي عن النبي الأكرم ((صلى الله عليه وآله وسلم)) رأى رجلاً
يعبث بلحيته في صلاته فقال ((صلى الله عليه وآله وسلم)): (أما أنه لو
خضع قلبه لخشعت جوارحه) .

الثالث: الاطلاع على ما ورد من المولى في الترغيب والحث على
الصلاة الخاشعين ومدح اصحابها ومن ذلك

١٢) سورة النور / آية ٣٧ .
١٣) سورة الماعون / آية ٤ - ٥ .

١- عن بعض ازواج الرسول ((صلى الله عليه وآله وسلم)): {كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه}.

٢- روي عن أمير المؤمنين ((عليه السلام)) إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فقليل له ما لك يا أمير المؤمنين؟
فيقول (عليه السلام): {جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنَّ منها وحملها الإنسان}.

٣- روي {انه وقع نصل في رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يمكن أحد من إخراجه، وقالت فاطمة (عليها السلام): أخرجوه في حالة صلاته فإنه لا يحس حينئذ ما يجري عليه، فأخرج وهو في صلاته فلم يحس به أصلاً}.

٤- عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه}.

٥- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {طوبى لمن اخلص الله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله وما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره}.

٦ - عن الإمام الصادق (عليه السلام): { لا يجتمع الرغبة والرغبة في قلب وإلا وجبت له الجنة، وإذا صليت فأقبل بقلبك على الله (عز وجل) فإن ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله (عز وجل) في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيده مع مودتهم إياه بالجنة }.

الرابع:

العلم واليقين

بأن حركات ظاهرة في الصلاة ليس لها دخل كثير في تصفية النفس وتطهير القلب، بل أن حقيقة الصلاة وروحها وإستحضار معانيها هو المركزي للنفس المطهر للقلب فالواجب الإطلاع على ما صدر في خصوص تلك المعاني وترسيخ ذلك في الذهن وإستحضاره أثناء الصلاة

١ - عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): { صلِّ صلاة مودع فإذا دخلت في الصلاة فقل: هذا آخر صلاتي من دنياي، وكن كأن

الجنة بين يديك، والنار تحتك وملك الموت وراءك، والأنبياء عن يمينك، والملائكة عن يسارك، والرب مطلع عليك من فوقك، فأنظر بين يدي من تقف ومن تناجي ومن ينظر إليك}.

٢ - عن الإمام الباقر(عليه السلام): {كان السجادة(عليه السلام) كجده علي (عليه السلام)، إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضائه ترتعد من خشية الله (عز وجل) وكان يصلي صلاة مودع يرى انه لا يصلي بعدها أبداً}.

٣ - عن النبي (صلى الله وآله وسلم): {... إذا توجه (العبد) إلى مصلاه ليصلي، قال الله (عز وجل) لملائكته: يا ملائكتي ألا ترون إلى عبدي هذا قد انقطع عن جميع الخلائق إليّ وأمل رحمتي وجودي ورأفتي؟ أشهدكم أني أخصه برحمتي وكراماتي}.

الخامس:

التفهم

التفهم هو إشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ من السور و التسيبحات و الإذكار وهذا أمر وراء حضور القلب، فرمما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معناه، ويختلف التفهم من شخص إلى آخر في المستوى والمقدار ولا يخفى ان التفهم ومعرفة المعنى بإستقلاله لا ثمرة فيه ما لم يستحضر المعنى أثناء الصلاة فكثير منّا يعرف معاني عديدة للألفاظ من السور أو التسيبحات أو الإذكار، لكنه يغفل عنها في الصلاة، وعلاج غفلة القلب عن المعنى هو نفس علاج غفلته عن اللفظ مع الحاجة هنا على الإقبال على الفكر ورفع الخواطر الشاغلة برفع

أسبابها، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره وشغل قلبه به وكذلك من خاف شيئاً فإنه يذكره، ويشغله كثيراً، فمن أحب غير الله تعالى وخاف غيره (جلت قدرته) كان قلبه مشغولاً بهذا الشيء فلا تصفوا له صلاة لإنشغاله بالخواطر والهواجس.

فالأحاسيس والمشاعر كالحب والكره والخوف والحزن، مجموعة من الانفعالات النفسية التي تجيش في صدر المصلي نتيجة لما يدور في ذهنه من أفكار، أو نتيجة التفاعل مع ما ينتقل إلى النفس من الخارج عن طريق الحواس كالشيء الذي يراه أو يسمعه أو يشمه أو يتذوقه وغير ذلك، والعلاج في هذه الحالات تتوقف على عاملين:-

١ - تنوير الذهن بالعلم والمعرفة الحقة المتمثلة بطاعة الله تعالى ودوام التفكير الصحيح به (جلت قدرته) وبخلقه، وتعلم معاني السور والتسيحات والأذكار واستحضارها والتفكير بها والإكثار من ذلك والدوام عليه.

٢ - إنتخاب المكان المناسب للصلاة الذي ينفي أو يقلل من إنتقال الخواطر والأمور إلى نفسه وذهنه كأن يكون بعيداً عن الأصوات والمناظر والأشياء الملفتة للسمع والنظر والشاغلة للذهن والقلب.

السادس :

التعظيم

بعد حضور القلب والتفهم، على المصلي أن يكون معظماً للخالق (جل جلاله) ان يكون قلبه خاشعاً منكسراً له تعالى، فحضور القلب والتفهم يمكن ان يحصل مع عدم حصول التعظيم كما يحصل مع العديد من الناس، فإننا نستمع إلى كلامهم ويحضر القلب بحيث يسمع ويستحضر جميع الألفاظ بالرغم من عدم تعظيمنا لهم، بل يمكن ان ننظر إلى بعضهم نظرة استصغار واحتقار أو بُغض وكراهة وتتولد حالة القلب بالتعظيم لله تعالى من معرفتين:-

- ١ - معرفة عظمة الله وجلاله وكبريائه ونحوها من صفاته (جلت قدرته)، وهذه المعرفة من أصول الدين.
- ٢ - معرفة حقارة النفس وذلتها، ومعرفة كونه عبداً ذليلاً فقيراً ضعيفاً محتاجاً لا يقدر على شيء من النفع والضرر، وأوله نطفة ندره وآخره جيفة قدرة وهو ما بينهما يحمل العذرة.

السابع:

الهيبة والخوف

الهيبة، هي خوف ينشأ من التعظيم والإجلال فمن لا يخاف لا يسمى هائباً، فهي حالة في القلب تكون بعد حضور القلب والتفهم والتعظيم، ويمكن تولد الهيبة لله تعالى في القلب من مجموع معرفتين:-

- ١ - معرفة قدرة الله تعالى وقوته وسطوته وكبريائه وجبروته وهذه المعرفة من أصول الدين.

٢ - معرفة ان الله غني عن العالمين وأنه تعالى لا يُبالي في هلاك الأولين والآخريين لأن هلاكهم لا ينقص من ملكه شيئاً، ومعرفة أن الله تعالى أجرى المصائب وأنواع البلاء على الأنبياء والمرسلين والاولياء والصالحين، فبالأولى إجراء ذلك وإنزاله بل أضعافه على باقي عباده

واعلم ان نور الإيمان يشرف على القلب تدريجياً، ثم يشتد ويتضاعف حتى يتم ويكمل، وأول ما يشرق النور يتأثر القلب بالخشية والهيبية من الله وعظمته وكبريائه وسائر صفاته الجلالية والجمالية، ولا يخفى أن الصفات الإلهية غير متناهية وما ينعكس منها على النفس يتناسب مع مقدار ما تطيقه النفس وما حصل لها من استعداد لتقبله، وكل ما كان العبد أعرف بربه كان منه أخوف ويشهد لهذا:-

- ١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^{١٤} .
- ٢ - ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): {أنا أخوفكم من الله} .

^{١٤} (سورة فاطر / آية ٢٨).

الثامن:

الرجاء

حالة الرجاء تحصل بعد حصول ما سبق من حالات الحضور والتفهم والتعظيم والهيبية، والمعروف ان كثيراً من الناس يعظم ملكاً ويهابه ولكنه لا يرجو برّه وإحسانه لأن الملك ليس أهلاً للبر والإحسان أما العبد فينبغي أن يكون في صلاته راجياً من الله تعالى أن يحصل له الثواب على ما يؤدي من صلاة وفي نفس الوقت عليه أن يخاف الله تعالى لتقصير العبد أو لعدم مبالاة المولى (جلت قدرته) بك أو بغيرك أو بالناس جميعاً.

ويمكن أن تتولد حالة الرجاء في القلب من مجموع معرفتين:-

- ١ - معرفة لطف الله تعالى وكرمه ورحمته.
- ٢ - معرفة صدق الله تعالى فيما وعد من إعطاء الثواب والجنان للمصلي صلاة الخاشعين المقبولة.

التاسع:

الحياء

تحصل بعد التعظيم والخوف والرجاء، وسبب ذلك:-

- ١ - معرفة الإنسان وشعوره بالتقصير وكثرة الذنوب أمام تلك العظمة الإلهية والجبروت القدسي.
- ٢ - معرفة أن الله تعالى مطلع على السرائر فضلاً عن غيرها، فهو (تعالى) يعلم بعيوب النفس وآفاتنا وقلّة إخلاصها وخبث باطنها وميلها للمنفعة العاجلة في جميع أفعالها.

البحث الأخلاقي روح الصلاة

٣ - التيقن بالعجز عن القيام بتعظيم الله (سبحانه وتعالى)، والتيقن
بالعجز عن الشكر لما أنعم الله تعالى على العبد.

الفصل الثاني

الصبر والإصطبار

أقسام الصبر

- الصبر على المصائب
- الصبر على النعم
- الصبر عن المعاصي
- الصبر على الطاعات

الصبر على الصلاة

- **الصبر على أداء الصلاة**
- **الصبر على الإستفادة من الصلاة**

مجاهدة النفس وقبول الصلاة الوصول إلى درجة المتقين والصادقين

القسم الأول: الإقبال على الله تعالى

القسم الثاني: الإقبال على الصلاة

- ١ - الإيمان
- ٢ - فراغ القلب وخلوه من مشاغل الدنيا
- ٣ - تربية النفس على التركيز والجدية
- ٤ - فهم الصلاة ومعانيها
- ٥ - الإصرار والمثابرة
- ٦ - صور الإقبال والحضور

الصبر والإصطبار

الصبر، هو تحمل المكروه من غير جزع، أو هو قسر النفس وحجزها على مقتضيات الشرع والعقل أوامراً ونواهيهاً، والصبر المطلوب في الإسلام على أربعة أقسام:-

الأول:

الصبر على المصائب

وهو أن يصبر الإنسان ويمسك نفسه ويحتفظ عليها من اليأس والألم الذي يمتثل تولده من التعرض للخسارات في الأموال والأحباب وغيرها ويشير لهذا المعنى:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

٢- عن الإمام الباقر (عليه السلام): {الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار}.

٣- عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام): {... اصبر على الحق وإن كان مرأً تُوفَّ أجرك بغير حساب}.

الثاني:

الصبر على النعم

الصبر على النعم هو ضبط النفس والحفاظة على توازنها من مسؤلات البطر والطغيان، فمسررات الحياة ومفاتها كالجاه العريض، والثراء الضخم، والسلطة النافذة ونحو ذلك يؤدي إلى إنحراف النفس وطغيانها ما

لم نسيطر عليها ونحافظ على توازنها وذلك بالمجاهدة والصبر والمداومة على رعاية الحقوق المفروضة على تلك النعم، واستغلالها في المجالات الشرعية والأخلاقية كالمعنوية من العطف والإحسان، وكالمادية من رعاية البؤساء وإغاثة المضطهدين والمستضعفين والإهتمام بجوانح المؤمنين.

الثالث :

الصبر عن المعاصي

على الإنسان إمساك نفسه ورغباتها وشهواتها عن المعاصي والمحرمات وإغرائاتها وزيفها، فالنفوس مجبولة على الجموح والشرود من النظم والضوابط (حتى لو كانت هذه النظم باعثة على إصلاحها وإسعادها) ومجبولة على الإنطلاق في مسارح الأهواء والشهوات، ولهذا كانت مجافات المعصية والإنتهاء عنها شاقة على النفس فتحتاج إلى الصبر والمجاهدة،

وكذلك فإن ممارسة الطاعة والمداومة عليها فيه مشقة على النفوس المجبولة على الجموح والشرود من النظم والقوانين، ولهذا تحتاج النفس إلى المجاهدة والصبر حتى تمارس الطاعة وتداوم عليها.

ويستفاد هذا المعنى كما ورد:

١ - عن الإمام الصادق (عليه السلام): {اصبروا على طاعة الله، وتصبروا عن معصيته، فإنما الدنيا ساعة فما مضى فليست تجد له سروراً ولا حزناً وما لم يأتِ فليست تعرفه، فأصبرْ على تلك الساعة، فكأنك قد اعتببت}.^{١٥}

٢ - عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): {إذا كان يوم القيامة، يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم،

فيقولون: كُنَّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله تعالى: صَدَقُوا أَدْخَلُوهُمْ الْجَنَّةَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{١٥}.

عن الإمام الصادق (عليه السلام): {الصبر صبران: فالصبر عند المصيبة، حسن جميل، وأفضل من ذلك الصبر عما حرم الله (عز وجل) ليكون لك حازماً}.^{١٥}

الرابع:

الصبر على الطاعات

^{١٥} (سورة الزمر / آية ١٠).

عرفنا أن النفوس مجبولة على الشرود والخروج من النظم والقوانين إلى مسarach الأهواء والشهوات، ولهذا كانت ممارسة الطاعة والمداومة عليها فيه مشقة على النفوس فتحتاج إلى المجاهدة والصبر.

الصبر على الصلاة

الصبر على الصلاة من الصبر على الطاعات وفيه قسمان، صبر على أدائها، وصبر على الاستفادة منها.

١- الصبر على أداء الصلاة

ان إستحضار المعاني والأوصاف الواردة عن المولى بحق تارك الصلاة ووصفه بالكفر والنفاق والخروج عن زي الاسلام والخروج عن زي العبودية الكريمة الإلهية المقدسة والدخول في عبوديات الذل والهوان للأموال والمناصب والاشخاص وغيرها، واستحضار ما يترتب على ذلك من عقوبات وآثار دُنوية وأخروية، وغير ذلك مما يتفكر به ويستحضره. من البديهي أن يكون رادعاً كافياً لكل إنسان بعدم التهاون بالصلاة، وإلزامه بإقامتها والدوام عليها في كل الاحوال والازمان.

٢ - الصبر على الاستفادة من الصلاة:

عرفنا سابقاً أن أداء الصلاة للدرجة التي تحقق الإجزاء فيسقط العقاب، ليس هو الهدف المقدس الأسمى، بل الوصول إلى درجة القبول هو الهدف والغاية القصوى الذي يتوقف عليه قبول الأعمال وإعتبار المصلي من المسلمين.

من الواضح أن قبول الصلاة لا يتم بالصلاة الجوفاء بل يتحقق بالصلاة المعنوية الروحية وبل الحفاظ على روحها ومعطياتها، وقد عرفنا أن روح الصلاة وحقيقتها ومعناها والحفاظة على ذلك يعتمد على توفر الشروط المعنوية الروحية للصلاة، ومثل هذا يحتاج إلى مجاهدات متكررة ودائمة وإلى صبر واصطبار.

فنور الإيمان إنما يشرق على القلب تدريجياً ثم يشتد ويتضاعف حتى يتم ويكمن، وأول ما يشرق النور يتأثر القلب فيشعر بالوجل والخشية والخوف إذا ذكر الله تعالى ، ثم لا زال الإيمان ينبسط ويتفرع ويتعرق ويتعمق وينمو بالنظر إلى آيات الله الدالة عليه والكلمات والاذكار والتسبيحات الصادرة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)، فكلما تأمل (المؤمن) المصلي في شيء منها زادته إيماناً فيقوى الإيمان ويشتد أكثر وأكثر حتى يستقر في مرحلة اليقين،

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾
وكلما كان العبد (المُصلي) أعرفُ بربه كان منه أخوف، وكمال المعرفة هو
الموجب لشدة الخوف لأنه يوجب إحتراق القلب، فيفيض أثر الحرقه من
القلب إلى:

- ١ - البدن، بالخمول والصفار والغشبية والبكاء.
- ٢ - الجوارح، بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعة، فمن لم يجتهد في
ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس على شيء من الخشية والخوف،
وقد ورد: (ليس الخائف من يبكي ويمس عينيه بل من يترك ما يخاف ان
يعاقب عليه) فتصبح المعاصي المحبوبة مكروهة عند الخائف كما يصير
العسل مكروهاً عند من يشتهيهِ إذا عرف كونه مسموماً، فتحترق
الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح به ويحصل بالقلب الحضور والتفهم
والتعظيم والذبول والذلة والخشوع، وتفارقه الصفات الذميمة الرذيلة فلا
يكون له شغل إلا مجاهدة نفسه ومحاسبتها.

فشدة محاسبة النفس تتناسب مع شدة الخوف الذي هو حرقه القلب
وتأمله، وشدة الخوف تتناسب مع شدة وعمق المعرفة بجلال الله وعظمته
والمعرفة بعيوب نفسه وما يتقدمها من أهوال وبحسب درجات الخوف
وإنعكاساتها على الشخصية الإسلامية يمكن تصنيف الإنسان المسلم إلى:

١ - **الْوَرَع**: وهو الذي يمتلك أقل درجات الخوف فيكيف نفسه عن المحرمات.

٢ - **التقي**: وهو الذي يمتلك خوف أعلى من درجة الوَرَع، وهذه الدرجة تحمله على الكف عن الشبهات.

٣ - **الصادق في التقوى**: وهو الذي يمتلك درجة خوف أعلى من التقي، والذي يحمله خوفه على ترك ما لا بأس به خوفاً من الوقوع في ما به بأس.

٤ - **الصدّيق**: وهو الذي يمتلك أعلى درجات الخوف والذي يحمله خوفه على التفرغ للخدمة، فيصبح مما لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنه مفارقها، ولا يعرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه. ورد في الحديث القدسي ((وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا آمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، إذا خافني في الدنيا آمنتني يوم القيامة))

الوصول إلى درجة المتقين والصدّيقين

ان اقتطاف ثمار الصلاة ومعطياتها والاستفادة من ذلك والدوام عليه، يحصل اذا تحقق، قبول الصلاة فالصلاة المقبولة هي التي تربي الإنسان وتجعله عنصراً فعالاً مفيداً رسالياً في مجتمعه، وكذلك تربيته روحياً وأخلاقياً

البحث الأخلاقي روح الصلاة

فيسير في خط التكامل حتى الوصول إلى درجة المتقين والصادقين والقبول المطلوب في الصلاة في هذا المقام، يتحقق إذا توفر قسمان من الإقبال:

الأول:

الإقبال على الله تعالى:

وهو الشعور بالحضور بين يدي الله تعالى ومناجاته.

الثاني:

الإقبال على الصلاة:

وهو تفهم الصلاة بمحتواها ومعطياتها ولا يخفى أن طبيعة الصلاة نوع من الحضور بين يدي الله تعالى وأن محتواها يتضمن شيء من الدعاء والتكلم مع الله تعالى، ولكن طبيعة الصلاة الغلبة (كما ذكرنا في الجزء السابق) هي تقرير وتذكير النفس بالحقائق أمام الذات المقدسة، فإذا جعل المصلي صلاته خطاباً لله وتكلاً ومناجاةً ودعاءً معه تعالى، وأغفل ناحية تقرير الحقائق على نفسه فقد قلل من عطائها، وكذلك العكس . والصحيح التركيز على الجانبين، جانب الحضور والمثول بين يدي الله تعالى والشعور به عز وجل، وجانب تربية النفس بذكر حقائق الصلاة أمامها.

البحث الأخلاقي روح الصلاة

فالواجب على كل مصلي أن يُمارس أفعال الصلاة وتلاواتها بوعي وترسل بحيث يتركها تؤثر أثرها على عقله وشعوره، وتعطي ثمارها الخاصة والعامّة الشخصية والاجتماعية، ويساعد على تحقيق ذلك عدة أمور تختلف من شخص إلى آخر ومن حالة إلى أخرى نذكر منها ما فيه الفائدة العامة ، ونترك التفصيل والتعمق وانتخاب الوسائل المتبعة، للمكلف فهو على نفسه بصيرة ومن تلك الأمور:

الأول:

الإيمان

ينبغي على كل إنسان الإيمان والمعرفة اليقينية بالله تعالى، ومعرفة صفاته كجلاله وعظمته وكونه عالماً بالظاهر والباطن فاهروب وعدم الإقبال على الصلاة يدل على عدم الإيمان وعدم التيقن.

الثاني:

فراغ القلب وخلوه من مشاغل الدنيا

أشرنا إلى أن الغفلة عن الصلاة وعدم حضور القلب لا سبب له إلا الخواطر الشاغلة، وعلاج الغفلة برفع الخواطر الشاغلة، ورفع الاخيرة يتحقق برفع أسبابها، اما توارد الخواطر فهو لسببين أشرنا إليهما سابقاً وهما:

١ - السبب الخارجي: ما ينتقل إلى النفس من الخارج عن طريق الحواس، فما يظهر للبصر أو يقرع السمع، غالباً ما يلهي الإنسان ويشغل قلبه وفكره فيكون الأبصار والاستماع سبب الخواطر وانشغال القلب والفكر.

ولعلاج ذلك علينا قطع الأسباب المولدة للخواطر الشاغلة بأن يعض البصر أو الصلاة في بيت مظلم، أو الاقتراب من جدار عند صلاته حتى تضيق وتقل مسافة نظره، وأن لا يصلي في الشوارع والأماكن العامة، ولا في المواضع المنقوشة، ولا في الأماكن العامة للجلوس والحديث ولا بأس أن يصلي وهو مُعَصَب العينين أو في غرفة صغيرة معزولة ومظلمة لجمع العزيمة وتعميقها.

٢- السبب الباطني: ما يدور في ذهن المصلي من أفكار مادية دنيوية، فمن تفرقت همومه وتشتت أنظاره في أودية الدنيا لم ينحصر فكره بل يصبح مضطرباً يطير من جانب إلى آخر، ومثل هذا الإنسان غرض البصر لا يكفيه كعلاج لغفلته وغياب قلبه.

وعلاج ذلك أن يرد نفسه قهراً إلى ما يقرأ، ويشغلها بما يقرأ عن غيرة، ويُعنيه على ذلك أن يستعد قبل بدء الصلاة بأن يجدد على نفسه ويُلمزها ذكر الآخرة وعظم المقام بين يدي الله تعالى ويستحضر العقبات والأهوال التي ستواجهه عند الموت وفي البرزخ وفي الآخرة وعليه أن يجتهد من أجل تفرغ القلب عن مشاغل الدنيا وإذا لم ينفعه ذلك عليه بردع وقمع الأفكار الشاغلة له (مثلاً) أن ينظر في الأمور الصارمة والشاغلة له والتي تعود إلى شهواته وليعاقب نفسه بالإبتعاد عن تلك الشهوات وقطع تلك العوائق أو يعاقب نفسه بزيادة النوافل أو بالصيام فيما لو انشغل فكره وقلبه بتلك الأمور وغفل عن الصلاة أو عن بعض أجزائها ومما يساعد في العلاج استحضار ما ورد عن الشارع المقدس في ذم حب الدنيا.

الثالث:

تربيته النفس على التركيز والجدية

إن الإنتباه والتركيز على أفعالنا اليومية تختلف من شخص لآخر، ويعتمد على الحالة الفكرية والنفسية للشخص، فبعض الأشخاص يمارس أعماله بقدر قليل من التركيز بسبب إنشداد مشاعره وأفكاره إلى أمر آخر، وبعضهم يركز ذهنه ومشاعره غالباً أو دائماً على كل عمل يقوم به، والشخصيات الناجحة والصالحة هي التي تمتلك قدراً كبير من التركيز على أعمالها، وبإستطاعة الإنسان أن يربي نفسه على التركيز حتى يصبح سمة لشخصيته، والصلاة من الأعمال التي يقوم بها الإنسان، فالإقبال عليها وشدته تعتمد على ما يتمتع به المصلي من تركيز وإقبال قلبي في سلوكه وشخصيته العامة، فالأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) والصالحون يتمتعون بدرجات كبيرة وعجيبة من الإقبال والخشوع في صلواتهم وعبادتهم بسبب الجدوة العالية في سلوكهم العام وشخصيتهم.

الرابع:

فهم الصلاة ومعانيها

على المصلي فهم الصلاة ومعانيها ومعطياتها واسلوبها التربوي الرسالي الشخصي والاجتماعي فبمقدار ما يملك الإنسان من وعي لذات

الصلاة ودورها في الحياة، سيكون مقدار نصيبه من الإقبال عليها الإفادة منها.

والصحيح والنافع أن تجعل الصلاة ملازمة لك في كل أفعالك وحياتك وكذا العكس بأن تجعل أفعالك وحياتك كلها ملازمة للصلاة، فعندما تصلي تستحضر أن أفعالك جميعها لا تُقبَل إذا لم تقبل الصلاة، هذا سيدفعك ويُلزمك أن تأتي بالصلاة وشروطها الظاهرية والباطنية حتى تكون مقبولة فتُقبَل الأعمال.

وكذلك عندما تريد أن تأتي بطاعة أو بعمل معروف فعليك استحضار الصلاة واعتبارها أحد الأسباب التي دعتك لفعل المعروف أو للإتيان بالطاعة، لأن من شروط قبول الصلاة ومن آثارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الفحشاء، أي أن من شروط قبول الصلاة أن يكون المصلي من المتقين ومن أهل المعروف.

وكذلك عندما تنتهي عن المنكر اجعل أحد الأسباب التي جعلتك تنتهي عن المنكر هو الصلاة، وأنت تريد أن تحقق الصلاة المقبولة الناهية عن الفحشاء والمنكر.

الخامس:

الإصرار والمثابرة

البحث الأخلاقي روح الصلاة

إذا أُبتليتَ بالغفلةِ وعدم حضور القلب فلا تجعل مثل هذا مثبطاً لك
ومسبباً لآلام واليأس في النفوس ومضعفاً للإصرار، بل عليك
الإصطبار والإصرار والمثابرة، فإنك في حالة صراع مع الهوى والنفس
والشيطان وكل منهم يحاول أن يصل بك إلى حالة اليأس والضعف فلا
تسمح لها بهزيمتك والإطاحة بك فإن الله تعالى قد كرمك وأنعم عليك
بالاستعدادات والقدرات الذاتية التي تستطيع بها أن تتغلب عليها
وتسقطها، فتوكل على الله تعالى وأعقد العزم على هزيمة تلك القوى
الشريرة وستنتصر بعون الله وتسديده.

السادس:

صور الإقبال والحضور.

يمكن لبعض المصلين إعطاء الإقبال على الصلاة صبغة وحالة النفس
وصفة الظروف التي يعيشها ويتأثر بها، ففي حالة فرحه يكون الإقبال
إقبال الفرح والشكر لله على ما أنعم عليه، وفي حالة حزنه يكون
الإقبال إقبال الحزن والشكوى لله وطلب الفرج وهكذا.

إذا توفرت للإنسان ما سبق من أمور وعمل على تحقيقها مع معرفة الله تعالى وصفاته ومن إفراغ القلب من الدنيا والتركيز على الصلاة ومعانيها وحقيقتها بعد معرفتها، فلا يبقى إلا أن يتوكل على الله جلت قدرته ويثق بما عنده من قدرات منحها الله تعالى إياها، فيعقد العزم على هزيمة تلك القوى الشريرة من الهوى والنفس والشيطان، ويثق ويعتقد بأنه عند البدء بالصلاة والدخول بها يكون قد دخل في حرمة المقدس الجميل، وإن شاء الله سيقذف الله تعالى من نوره في قلبك وستعيش واقعاً في ذلك الحرم المقدس الشريف وستشعر بالمتعة والأنس في تلك الحضرة المقدسة، رزقنا الله جميعاً هذه المتعة والتشريف والتكريم.

اللَّهُمَّ اجعلنا من المصلين المقبولة صلاتهم
والثابتين على نهج المعصومين (عليهم السلام)
والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين
وصلى الله على محمدٍ
وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ونسألكم الدعاء

العبد

الفقير الفاني

محمود الحسني

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)
www.al-hasany.net
www.al-hasany.com
E-mail: info@al-hasany.net